مقدمة الطبعة السابعة

القارئ الكريم...

أشكر لقرائى الترحاب والحفاوة الكبيرين اللذين استقبلوا بهما كتابى «خرافة الإلحاد»، وكذلك باقى كتبى، حتى صارت أكثر الكتب الفكرية العربية مبيعًا فى الوقت الحالى. وقد اقتضت ظروف النشر أن تخرج بعض كتبى (ومنها هذا الكتاب) فى هيئة جديدة، فقمنا بتغيير تصميم الغلاف والتنسيق الداخلى، وانتهزنا الفرصة لعمل مراجعة وتنقيح شاملين لكل كتاب منها.

وقد حاذ هذا الكتاب فى طبعاته السابقة قبولًا واسعًا فى الأوساط الفكرية خاصة الشبابية. كما صرح **الإمام الأكبر د. أحمد الطيب شيخ الجامع الأزهر** فى أحد برامجه التليفزيونية بأن كتابنا **«خرافة الإلحاد»** هو أفضل ما كُتب فى التصدى للموجة الإلحادية المعاصرة. وكذلك طلبت منى مجلة الأزهر أن أقوم بتبسيط الكتاب لإصداره كهدية مع المجلة، وقد قمنا بذلك بالفعل، وصدر الكتاب الملخص بعنوان **«وهم الالحاد»** مع مجلة الأزهر فى شهر المحرم العام 1435 هـ.

ولأهمية الكتاب وخطورة موضوعه، فقد قمنا بإنتاج مادته العلمية فى **سبعين حلقة فيديو** على هيئة برنامجين:

البرنامج الأول: بعنوان «بين الإله والإلحاد».

والبرنامج الثانى: بعنوان «الداء والدواء».

ويتم عرض هذه الحلقات بشكل مستمر متكرر فى عدد من القنوات الفضائية المهمة.

وقد أثار محتوى الفصل السادس من الكتاب «التطور الداروينى بين الإله والإلحاد» جلبة شديدة فى أوساط السلفيين الإسلاميين الأصوليين فى كل مرة ورد فيها فى أحد كتبى. فبالرغم من أن 99 % من علماء العالم يُجزمون بأن التطور البيولوجى هو آلية تنويع الكائنات الحية

وصولًا إلى الإنسان، مما جعلنا نتبنى مفهوم «التطور الموجه» الذى يقوم به الإله الخالق، فإن هؤلاء الأصوليين لم يكتفوا بمعارضة التطور الذى يحظى بالإجماع العلمى، لكنهم يهاجمون ما نطرح بشده، تصل ببعضهم إلى حد التكفير!! حتى صارت أطروحاتهم مثارًا للسخرية والتندر والانتقاص من الإسلام فى الأوساط العلمية، مما دفع الآلاف من شبابنا إلى الخروج من دين الله أفواجا، فينبغى على القارئ التنبه إلى ذلك.

و إذا كنا فى كتاباتنا المبكرة قد ذكرنا أن التطور البيولوجى يُعتبر بمثابة **«الحقيقة العلمية»**، ثم ذكرنا فى كتاباتنا المتأخرة أنه هو **«أفضل التفسيرات»** لتنوع الكائنات الحية، فذلك ليس تغييرًا حقيقيًا فى موقفنا من التطور، لكنه تعديل فى الصياغة ألزمتنا به فلسفة العلم، بعد أن تعمقنا بشكل أكبر فى دراسة مناهج البحث.

ففلسفة العلم تتبنى أن علوم النشأة (نشأة الكون - الحياة - الإنسان - المنظومة الأخلاقية... إلخ) تتبع فى دراستها **«المنهج الاستردادي»**، الذى يحاول أن يسترجع أحداث نشأة الظاهرة تدريجيًا، ليصل إلى أفضل سيناريو مُحتَمل، وهو ما يُسمى بـ **«اللجوء إلى أفضل التفسيرات»**. والفرق بين الحقيقة العلمية وبين أفضل التفسيرات، هو أن الأولى غير قابلة للتغير، أما أفضل التفسيرات فقابل للتغير تبعًا لما يستجد من الاكتشافات العلمية.

وفى نفس الوقت، فإن هناك من أفضل التفسيرات ما هو كامل الحجية، حتى يصل بالمفهوم إلى مستوى الحقائق العلمية التى تقابلنا فى العلوم التجريبية والرصدية، ولعل مفهوم التطور البيولوجى هو أحد هذه التفسيرات الأفضل.

ويعتبر **الفصل السابع، «التصميم والتطور بين الإله والإلحاد»** دُرَّةَ الكتاب بحق، فهو فصل غير مسبوق فى المكتبة العربية، يثبت علميًا مفهوم الألوهية بشكل جازم ، وذلك من خلال **نظرية المعلومات**، وما تكشفه من احتياج ظواهر الكون والحياة والإنسان إلى **«تصميم ذكي»**، لا يمكن أن يقوم به إلا إله حكيم رشيد قادر.

و إذا كان الحديث عن تجديد الخطاب الدينى قد كَثُرَ فى الفترة الأخيرة، فنحن فى هذا الكتاب نتبنى الدعوة إلى **«تجديد الفكر الديني»**، وليس فقط الخطاب الدينى، باعتبار أن ذلك هو ما نحتاج إليه فى هذه الفترة المظلمة فى تاريخ الفكر الإسلامى.

كما يتفرد الكتاب بتبنى الدعوة إلى «**تجديد الفكر العلمي**»، الذى يكتفى بدراسة السبب المباشر للظواهر الطبيعية، فندعو إلى أن يقوم العلم بتصعيد البحث فى منظومة الأسباب المادية، سببًا بعد سبب، حتى يصل إلى السبب الأول وهو الإله عزَّ وجلَّ . وهذا ما قصده عالم فيزياء الكوانتم الكبير ڤيرنر هيزنبرج بقوله: «**قد تُسلمك الرشفة الأولى من كأس العلم إلى الإلحاد، لكنك (ولا شك) ستجد الإله ينتظرك فى قاع الكأس**»..

سبحانك ربى القائل ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (سورة فصلت).

القارئ الكريم...

أتمنى لك بعد هذه الملاحظات حول كتابنا الذى بين يديك، قراءة ممتعة مفيدة، وأدعوك لأن تبدأها بقراءة المقدمة الأصلية للكتاب، والتى تمهد للإبحار بيسر فى هذه الرحلة الفكرية.